المبحث الثاني
المقالة الموضوعية

مدخل:

يحاول الأديب في المقالة الموضوعية أن يثير اهتمامنا حول موضوع ما، وهذا الموضوع قد يكون ضمن " ما يقع في بؤرة اهتمامنا الواعي في لحظة معينة وهو جزء بسيط جداً من المعلومات التي تنطلق من كل الأشياء والكائنات من حولنا "[1] والأديب وبما يمتلك من عمق في الثقافة واللغة والتراث يستحضر موضوعات تمدنا بالرؤية والتطلع.

وعلى الرغم من أن المقال الموضوعي هو المقال " الذي يتجرد الكاتب فيه عن شخصيته وتتوارى فيه عواطفه ويعالج موضوعه معالجة تقوم على تقصي الأفكار وتنسيق المادة المدروسة وإبراز عناصرها مستخدماً الأسلوب المحدد الدقيق الذي يهتم بإبراز الفكرة وتوضيحها مدعماً بالأدلة والبراهين "[2] إلا أن المقال الموضوعي لدى محمود درويش لا ينفصل عن شخصيته؛ لأنه يتحدث عن قضية تهمه سواء على مستوى السياسة أم النقد؛ لأنّ ذلك يتعلق بوطنه الذي يعتز به.

1- المقالة السياسية

إن الظروف السياسية القائمة في الأرض المحتلة وما تتركه من مشكلات عاشها الفلسطيني سواء أكان في أرض الوطن أم الخيام أو في المنفى. فإن قضية الوطن المسلوب من ابرز الموضوعات السياسية التي انبرى لها الأدباء ليعلنوا عن حق الوطن في الحرية والاستقلال، ويعلنوا الصدام الدامي في محاربة الصهاينة. وهو صراع حضاري وفكري أخذ مداه في تمزيق الوطن، وأخذ مداه في عدوانيته على كل ملامح الإنسانية من قتل ووحشية بالغة القسوة لأبنائه وشعبه.

إن هذا الصدام المؤلم هو جزء لا يتجزأ من مقالات محمود درويش، وقد لجأ الكاتب فيها إلى كل ما يؤكد الحق الفلسطيني المشروع لذلك استعان بكل ما يملك لمواجهة العدوان والكراهية ليعبر عن ولاء عميق لوطنه ولقضيته، ولأن العدوان ضد فلسطين موجه من عدوين ظاهرين في عدائهما هما: الاحتلال الصهيوني والعدو الأمريكي.

ولأن الحرب على فلسطين حرباً واسعة تتخذ خطورتها من خطورة الهدف الذي تبتغي أن تحققه وهو أن يحل اليهود محل الفلسطينيين بإزالتهم وإزالة كل المعالم

---

(1) مسائل في الإبداع والتصور: 9.
(2) المقال وتطوره في الأدب المعاصر: 76.

التراثية والإنسانية في أرضهم؛ لذا كان التعبير في هذه المقالات " تعبيراً مباشراً يلمس مواطن الإثارة في الجماهير، ولذلك فهي تتكئ أساساً على نوعية من العاطفة الملتهبة والمحتوى الوطني المستنزف للشعب على طريق الاتجاه إلى ضرب المستعمر وتحرير الأرض"[1]. فدرويش يحاول أن يثري مقالاته السياسية بكل الأفكار التي تصطدم مع الاحتلال الإسرائيلي والعدو الأمريكي.

أ- المقالات الموجهة ضد الاحتلال الصهيوني

تضيء هذه المقالات ضرورة التحول السياسي في فلسطين المحتلة، وتضم موضوعات تصاعد المأساة الفلسطينية منذ إعلان الصهيونية ومن ثم هجرة اليهود إلى فلسطين، ومن ثم هدم كل الملامح العربية وبدأ عالم مهدد بالزوال... فبدأ الموت يطوف بين الأبطال، والخيام متخمة باللاجئين العراة، الجياع تلعب بهم ريح الفقر كيفما تشاء، وأصبحت المنافي تفتح أيديها للفلسطينيين وهذا ما يميز مقالات محمود درويش وهو في أرضه المحتلة، أو مقيداً في السجون، أو بعيداً في الملاجئ أو المنفى، وهي مقالات ملتهبة إذ إن مقاومة الأعداء المغتصبين تنعكس على تفكيره فتأخذ حيزاً كبيراً من تجربته الإبداعية، فمقالات (شيء عن الوطن) " قد كتبت أثناء وجود الشاعر محمود درويش في الأرض المحتلة، وأرجو أن يقدر الظروف القاسية التي كان يعيشها المواطن في أرضه تحت سيف السلطة الفاشية الصهيونية، وان يقدر بطولة هذه المقالات التي كتبت، ومحمود درويش يخرج من سجن إلى سجن ليدخل آخر... وتمثل المقاومة للوجود الصهيوني في أوضح صورها، عندما تقال وتكتب داخل الوطن المحتل، وعندما تكون فوهة البندقية مصوبة إلى صدر الشاعر الأعزل، إننا خارج حدود الوطن المحتل نستطيع أن تقول ضد إسرائيل كل ما نشاء، ولكن قولنا هذا ليس فيه جرأة ولا بطولة، ولكن عندما تقال كلمات حادة وقاطعة بمستوى ما قاله محمود درويش، فإنها تمثل كل الجرأة والرجولة الذهنية والعقائدية وأيضاً توضح كيف تتحول الرؤية السياسية إلى ممارسة نضال يومية "[2]، فيعلن في مجموعة (شيء عن الوطن) عن صور الإرهاب وعنفها من العدو الصهيوني لأبناء فلسطين، في محاولة ليجعل الوطن مقابر وسجون لأبنائها، فيشير إلى ذلك في القسم الأول من المجموعة، في مقالة (شيء عن الوطن) إذ يقول:

((لم يشهد تاريخ اضطهادنا الطويل مثل ما يشهده الآن، من عنف وفظاظة في ملاحقة أبناء هذا الوطن، كلهم متهمون.. كلهم مهددون وكلهم مضطهدون، وحكومة إسرائيل التي تشغل نفسها في استصراخ العالم للتيقظ إزاء ما تعتقد أنه إرهاب في

---

(1) عن اللغة والأدب والنقد، رؤية تاريخية فنية، د. محمد احمد العزب: 172.
(2) شيء عن الوطن: 5.

أي مكان من العالم، ومن أجل أن تعترف الدنيا كلها بأن هذا الوطن هو وطن كل اليهود، لا تعترف بحق الذين غرسوا زيتونه، وتمارس ضدهم أحد أشد صور الإرهاب عنفاً.. وفي وطنهم، والعالم لا يدري كل شيء، إننا نوضع الآن خاصة، أمام هذا التحدي: إما أن تصغر أكتافنا، وترتد جباهنا عن الشمس، وأما أن نتنازل عن البقاء في هذا الوطن. ولكننا فرضنا تحدياً آخر: البقاء والكفاح... هل تريد حكومة إسرائيل أن تسجن كل العرب؟ وهل تريد تحويل هذا الوطن إلى سجن؟ إن منطلق الشك والإرهاب الذي يوجه خطى الحكومة يوصلها إلى وضع مثل هذا الاحتمال: إقامة المزيد من معسكرات الاعتقال! ولكن هل هذا الاعتقال الجماعي يضمن لها ما تريد؟.))[1].

ترى هل يستطيع العدو الصهيوني أن يسجن القلم في زنزانة خاصة لا تدخلها الأوراق؟ كلا، لأن الأدب ـــ كما يصفه محمود درويش ـــ في جوهره داخل فلسطين " هو الرفض والإدانة "[2] اللذان هما أساسان من أسس أدب المقاومة الفلسطيني.. الذي يدرك تماماً أن العدو ولد من رحم الإرهاب وقتل الشعوب البريئة. ومن أجل ذلك فإن الأديب لا يتوانى في إرسال الرسائل ليخاطب ضمير العالم، أو الشعب العربي أو ليحتج على ما يجري في أرض الوطن من حصار للمدن والقرى وموت جماعي أو اضطهاد في الخيم الذي يعبث بها الفقر والمرض والجوع.

وقد يوجه بطاقة ردع يفصح فيها محمود درويش كما في مقالة (بطاقة إلى وزير الدفاع) عن حقيقة الحال القاسية التي يحياها في وطنه في ظل الاحتلال وأفكاره التي نجدها " تنساب رقيقة خلال عاطفة الكاتب وخياله، منبثقة عما يشغله من أمور الحياة عموماً، وأمور الأمة والوطن والمجتمع والفرد... ونفسه خصوصاً"[3] فيقول:

((لعلي أعترف بأن اختيار العيد موعداً للكتابة إليك، محاولة لئيمة للتساؤل عن الحالة التي عاد بها العيد، ولكن صاحب التوقيع يملك من الذوق قدراً يدفعه إلى التمني، مع كل الناس، بأن يكون العيد بشير سعادة وأمن؛ لأن الذوق عندي يحمل طباع الزيت ما يجعله دائماً يطفو على سطح كل شيء، وهذه الحقيقة هي التي تبرز قولي لك: كل عام وأنت بخير!.

ولكن، من أنا: أنا واحد من الذين استطاعت قوتك أن تنتزعهم من أحضان الطبيعة التي يغرق في حنانها الناس في مثل هذه المناسبات.. واحد من الذين حرمتهم من الاسترخاء على العشب البري، ومن المشاركة بفرح العيد.. واحد من

---

(1) شيء عن الوطن: 9- 12.
(2) المصدر نفسه: 47.
(3) الثقافة الأدبية، د. علي جواد الطاهر: 16.

الذين أردت لهم أن يتعلموا درساً في الإخلاص لما تسميه بالأمن، فاخترت أسلوباً فريداً في التدريس هو إنزال العقاب! ولعلك تدرك أكثر مني أن الذين أخذت منهم هذا الأسلوب لم يعد عليهم بالثمار المأمولة، ولم يحصدوا منه غير الشر، وهذا هو حصاد الشر: لقد زدتني شغفاً بما أردتني أن اكرهه...، وساعدتني بدون أن تدري على تحديد هدف طلقاتي، إن حرماني من حرية التجول، منذ سنين، على أرض وطني الغالي، لم يقطع أواصر الحب بيني وبين وطني، بل تحول هذا الحب، بفضل هذا الحرمان، إلى حب ذي مذاق أسطوري، لأنك نتيجة خطأ في حساباتك، أضفت حرارة الحلم إلى برودة الواقع، فالتحم الحلم والواقع في قصة حبي لوطني التحاماً جعلني شبه مسحور بجبالي وسهولي وترابي وخرائبي))[1].

في هذه البطاقة الموجهة إلى وزير دفاع العدو تتضافر فيها وشائج الحب للوطن وصور النقمة على العدو، تعكسها صراحة القول، وصدق العاطفة والأحاسيس النابعة من نفس الكاتب الأبية:

((وفي المناسبة أصارحك القول اني فخور بتسديد حسابي ثمناً لمحافظتي على كرامتي وشرفي، وقامتي المنتصبة، انه فخر لابن فلاح أعزل مسلوب الأرض والحق.. أن يثير نقمة وزير دفاع دولة هزمت سبع دول، أيام كانت الدول تباع في الأسواق، وأيام كان القرش مثقوباً!... ونحن نعرف أن السياسة الرسمية ترمي إلى اقتلاع جذور هذا الجيل من هذه الأرض، التي جبلت بالعرق وجثث الخيول الغربية والدم والمطر والحكمة، وظلت جميلة.. جميلة في عيوننا لأنها أمنا. ولكننا في العيد نجيئك يا معالي الوزير، لنجدد الولاء لهذا الوطن الذي نعيد حوافي لقاء الخضرة بالزرقة فيه.. في قبلة ملائكية تضفي على حبنا اللمسات الرومانتيكية التي تأسر قلوبنا نحن الشباب، نبقى لنعمل على التناسق بين جماله الخارجي وجمال حياتنا، ولكي تبقى أغصان الزيتون فيه إشارة حقيقية لأحلام الناس كلهم في السلام والأمن الحقيقيين))[2].

يستدعي الكاتب هنا كل صور الأعماق من خلال نبض قلبه ليعلن احتجاجه ورفضه للاحتلال، فقد وضح رؤيته وتطلعاته في مقدمة مجموعته (يوميات الحزن العادي) التي يقول فيها " لا يحاول هذا الكتاب أن يصوغ سيرة ذاتية لجيل من الفلسطينيين صاغ لغته الخاصة في مواجهة الاحتلال الطويل، إنه تاريخ صوت صغير يحفر شكلاً في صخور الجليل التي تحولت إلى زنزانة وأفق، ثم انفتحت بوابة العالم على المنافي والحروب الأخرى، وما زالت الكتابة في البداية تؤسس الشكل الآخر

---

(1) شيء عن الوطن: 138- 140.
(2) المصدر نفسه: 142- 143.

للوطن. ولا تسأل عما وراءه، يتشعب الصوت إلى حدود لا نهايات لها، ويعي أنه يفلت منها إلى فراغ، وفلسطين التي تفيض من ذاتها ومن دمنا، وتحرص على إعادة صياغتها بكل أدوات المعجزة تحررنا وتأسرنا بلا مفر، أمِنْ دمنا إلى دمنا حدود الأرض؟. المعارك لا تنتهي واللغة لا تستقر وهذه الصفحات لا تروي القصة، بل تسجل بداية الصوت الصغير الذي زحزح الصخرة الأولى قليلاً، يبتعد الوطن ويقترب، وفي حزن كل يوم. في موت كل يوم تكتب الكتابة، أو تحاول أن تكتب لكي يكف هذا الحزن العادي على أن يكون قابلاً للقبول"[1].

وعندما تكون الغربة طوقاً والوطن مطوقاً، يحل الشوق حقائبه إلى الوطن ولكن ماذا سيلقي في أثناء عناقه له سجون بانتظاره التي لا تخلو غالباً من موت بطيء بلا رحمة، فتسجل كل هذا مقالة (الحمار حراً) بمعانٍ واضحة وحب مستعر ونفس متوثبة وعواطف ملتهبة بالشوق، ليوحي من خلال كل ذلك صورة الاحتلال الإسرائيلي اللعين، فيقول:

(ـــ تريد أن تسافر إلى القدس؟.

ترفع سماعة التليفون، وتطلب ضابط المهمات الخاصة في دائرة الشرطة، تعرفه جيداً فتسأله عن أحواله وتمازحه، ثم ترجوه أن يعطيك تصريحاً للسفر ليوم واحد بلا نوم، يقول لك: قدم طلباً خطياً، تترك عملك وتقدم الطلب الخطي على ورق صقيل.. وتنتظر الجواب، يوماً.. يومين.. ثلاثة أيام، ثمة أمل لأنهم لم يقولوا (لا) كالعادة، ولكنك تنتظر وميعادك في القدس يقترب، تسألهم.. ترجوهم.. تتوسل إليهم أن يقولوا أي شيء، أن يقولوا (لا) لتصبح في حل من الموعد، لا يقولون، تخبرهم أن أمامك ساعات معدودة يقولون: تعال إلينا بعد ساعة لتستلم الجواب.

تذهب، فتجد المكتب مغلقاً، تتساءل ببراءة: لماذا يخجلون مني؟ لماذا لم يقولوا (لا) كعادتهم. تغضب وتقرر ـــ بغباء ـــ أن تنتقم من امن الدولة.. وتسافر، في اليوم التالي يستدعونك للمثول أمام محكمة عسكرية عاجلة. تنتظر دورك وتسمع حكايات:... تذكر حكاية الشيخ والحمار والتصريح: كان الشيخ يحرث الحقل، علق عباءته على شجرة، والتصريح في جيب العباءة، اكتشف أن حماره قد ابتعد عن أرضه ودخل أرضاً أخرى، خف للحاق بالحمار، فاعترضه الشرطة العسكرية واعتقلته، لأنه دخل ارض الدولة بلا تصريح، قال لهم: معي تصريح.. في جيب العباءة المعلقة على الشجرة هناك. اعتقلوه وحاكموه.. وتذكر تصاريح الموت... تذكر أيضا الطفلة التي ماتت في حضن والدها أمام مكتب الحاكم العسكري حيث كان

---

(1)يوميات الحزن العادي: 5.

الأب ينتظر تصريحاً للسفر من قريته إلى المدينة لمعالجة طفلته المريضة. وتشعر بالسعادة لأنهم حكموا عليك بالسجن لمدة شهرين فقط، وفي السجن تغنى للوطن.. وتكتب رسائل إلى حبيبتك، وتقرأ مقالات عن الديمقراطية، وتقرأ رواية (الحرية أو الموت) فلا تحرر نفسك.. ولا تموت))[1].

يمكن أن نلاحظ في هذه المقالة الوسائل القمعية التي تستخدمها قوات الاحتلال ضد أبنائه. فلم تبتعد عن كل وسائل الموت لهم وتهيئتها لتنال أغلبية الشعب العربي المناضل في فلسطين.. ولكن لن يموت بل تعلن في كل يوم شرارة الغضب ومقاومة الطاغية الإسرائيلية بالقلم والدم الحر الأبي، ولن تتوانى مقالات محمود درويش عن تصوير المجازر الإسرائيلية في القرى والمدن الفلسطينية لترسم لنا حجم الكارثة التي ينتجها العدوان ضد أبناء الوطن الآمنين، ووقاحة العدو في قتل الفلسطينيين، وهذا ما يعلن عنه في مقالة (من يقتل خمسين عربياً يخسر قرشاً) التي تعد تصريحاً سياسياً للعنف والجريمة لدولة صهيون:

((خلاصة القول أن الجرائم التي ترتكبها إسرائيل ضد السكان العرب المدنيين والتي تمثل مذبحة كفر قاسم تجسيداً صارخاً لها، وليست ناشئة عن تطبيق " رديء " للتراث الصهيوني " الجيد" ولكنها تطبيق جيد للتراث الصهيوني الرديء،... إن تراث الصهيونية وينبوعها " الصافي" هو الذي حلل العنف والجريمة... وحين كنا نحاول دخول كفر قاسم لمشاركتها في أحياء ذكرى ضحاياها كان حرس الحدود إياهم.. القتلة إياهم يضربون حصارا حول القرية الثكلى, ويمنعون الزوار من نقل التعازي, هؤلاء القتلة الأبطال لماذا يخافون ذكرى ضحاياهم؟ ليس تأنيب الضمير هو الذي يدفعهم إلى قمع الذكرى, بل الكراهية والسيادية والشعور بالحاجة إلى برهنة وجودهم.. موجودون دائما مع الجريمة، وكأنهم يجدّدون عملية القتل كل سنة بمحاولة قتل الذكرى, وبلغ الانتقام أوجه حين دشنت مدينة السرقة " كرمئيل " على أنقاض أراضي ثلاث قرى عربية في الجليل في يوم ذكرى مذبحة كفر قاسم بالذات، لتظهر للعرب حقيقة نواياهم تجاههم, ولتدلهم على حدي السيف الذي تحاربهم به: القتل مرة، ومصادرة الأرض مرة أخرى، لم تكن كفر قاسم قرية ذات شأن في تاريخ فلسطين, ولكن ذلك الغروب الواقف على حافة الدم جعل كفر قاسم المجهولة ملحمة شعب صابر, وحين وقفنا على مدخلها, ذات مساء, أحسسنا بضراوة الفرح المكبوت فينا. وعرفنا الجريمة التي تنال عليها كل هذا العقاب, وأدركنا أن الحجارة هي الوقت، فجلسنا عليها نغني للوطن))[2].

---

(1) يوميات الحزن العادي: 92- 93.
(2) المصدر نفسه: 124- 127.

لا نهاية لمسوغات الإرهاب والعنف المسلح للصهاينة, لتعلن الحقيقة عن وجهها، لينكشف العالم النائم من دون أن يرى حق الفلسطيني. عالم ينام وهذا ما جاء في مقالة (ذاهب إلى العالم. غريب عن العالم) إذ يقول: " وهكذا يصحو, هو مدجج بالسلاح وأنا ـــ فلسطين ـــ مدجج بالقيود، القوي متحضر، الضعيف بربري "[1].

أما مقالة (بيت مسكون بالأشباح) التي تصور العلاقة بين الصهيوني والأرض التي يغتصبها وصعوبة خلق علاقة حب تلقائية بين الصهيوني والبلاد التي يدعي أنها وطنه فهو يقول فيها:

((**ردا على صعوبة الأسئلة وخطورتها. شكلت الحكومة الإسرائيلية لأول مرة في تاريخها، وزارة للإعلام في محاولة لمواجهة تدفق الشك الذي جرح العلاقة بين الإسرائيلي. وبين " الوطن " وقال وزير الإعلام أن وزارته " ستهتم بدعم حب البلاد"، ماذا يعني أن تنصرف وزارة إلى تعليم حب البلاد؟ معناه أن كثيراً من الإسرائيليين لا يحبون " بلادهم " لأنها ليست بلادهم.. وهنا, هنا جوهر الخلل التاريخي العميق في مجمل المشروع الصهيوني، فالصهيونية لم تستطع طيلة تجاربها وتطبيقاتها أن تخلق علاقة الحب التلقائي بين الإسرائيلي وبين البلاد التي تدعي أنها وطنه، في أول محك صعب لهذه العلاقة سقطت قشرة الحب الاصطناعي، لأن السلاح- وحده - كان هو القلب. أنها لفضيحة صهيونية أن تقام وزارة لغرس قلوب اصطناعية للإحساس بالحب بين اليهود وبين أرض فلسطين**))[2].

يعلن الحب سقمه وهجاءه ونقمته على الاحتلال الصهيوني اللعين, وعلى الأدب العربي أن يعلن حربه بكل ما يملك من أدوات.

ب. المقالات الموجهة ضد العدو الأمريكي

انطلقت أمريكا على نطاق واسع وبوسائل تكنيكية مختلفة وأحيانا تتناقض، أو تتناسب وتتكيف مع الخصائص المميزة لكل جهة من المنطقة وتتفاعل معها بمعزل عن الجهات الأخرى لتمارس لعبة التمايزات والتوازنات بين أطراف الصراع مع بعضهم البعض وداخل كل طرف على حدا، ويغدو قانون اللعبة بين الأطراف هو قانونها أولا، واختبار ضمان وجود التحالفات معها، واسلم الطرائق لتحقيق أهدافها

(1) يوميات الحزن العادي: 173.
(2) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 111.

وطموحاتها في المنطقة ثانياً[1]. ومن أجل ذلك فقد اتخذت أسلوباً مزدوجاً بين العرب وإسرائيل، واتجهت إلى مساندة الكيان الصهيوني على حساب العرب، واغدقتهم بالوعود وقد تحقق منها ما تحقق.

وقد انبرى محمود درويش ليحذر العرب من حقيقة هذه اللعبة الأمريكية السياسية التي تحاول من خلالها أن تحقق ما تصبو إليه من خلال زرع الكيان الصهيوني في الأرض العربية الفلسطينية. ومن تلك المقالات التي تناولت هذا الموضوع مقالة (طريق مسدود آخر) وقد توهم العرب الذين حالفوا أمريكا وظنوا أنها تعمل على حل المسألة الفلسطينية بحلول سلمية من خلال التسوية إذ يقول " في أوجه التفاؤل العربي الرسمي باحتمالات الضغط الأمريكي على إسرائيل من أجل تليين موقفها، تبنى حزب العمل الإسرائيلي (خريطة لحدود إسرائيل النهائية) وليست هذه الخريطة القائمة على برامج الضم والتوسيع الإسرائيلية الجديدة، أنها صياغة مكتوبة لما يسمى في إسرائيل (بالنظرية الشفهية) التي تحدد سياسة إسرائيل تجاه المناطق العربية المحتلة وتضغط حركة السياسة الإسرائيلية الخارجة وقد التزمت لهذا الاتفاق الشفهي كل الأجنحة التي يتألف منها حزب العمل الحاكم في عام 1969 "[2].

وهكذا تتضح السياسة الأمريكية التي تعمل على ترسيخ إسرائيل على أرض فلسطين وأرض العرب، لتضع يدها على النفط العربي، وبناء القواعد العسكرية في البلاد العربية لتأمين مصالحها في المنطقة العربية ولاسيما منطقة الخليج العربي، وتتناول المقالة عرضاً للأحداث التي تجري على الساحة العربية والدولية، مما أصاب العرب بخيبة أمل من هذا السلوك الأمريكي المفاجئ في إعلان المشروع الصهيوني (الخارطة الإسرائيلية الجديدة) وتصريح رئيس الوزراء الإسرائيلي الذي " أعلن انه عرض على الرئيس الأمريكي المبادئ الأساسية التي تضمنها الخريطة الإسرائيلية، ولم يعلن عن حقيقة موقف **فورد** منها، مما يوحي بان المطالب الإسرائيلية، تحظى بمعرفة أمريكا ومواقفها، وكان **رابين** مطمئناً، إلا أن واشنطن لن تتخذ موقفاً لا ينسجم مع موقف إسرائيل"[3]. ورغبة أمريكا في التعاطف والالتزام إزاء الصهيونية والمحافظة عليها حليفاً عسكرياً يحمي مصالحها في الشرق الأوسط[4].

---

(1) حلول كثيرة للمسألة اليهودية ولا حل للمسألة الصهيونية، حوار مع محمود عباس، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (68- 69) لسنة 1977: 88.

(2) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العدد (47) لسنة 1975: 28.

(3) مقالة (طريق آخر مسدود) مجلة شؤون فلسطينية، العدد (47) لسنة 1975: 50.

(4) الشؤون العسكرية الإسرائيلية: تطور التسلح، يزيد صايغ،مجلة شؤون فلسطينية، العدد (182) لسنة 1988: 16.

وهكذا تبرز مقالات محمود درويش تباعاً " لتطور الأحداث والتحولات السياسية الوطنية والقومية"[1]، ولعل مقالة (لا شيء يثير الدهشة) توضح الهجمة الأمريكية على الأرض العربية إذ يقول فيها:

((إن تعثر مسيرة التسوية, الذي يفجع البعض ليس ناشئاً عن تغير الإدارة الإسرائيلية, كما ستعلن واشنطن لزائريها، بأسف، فالإدارة السابقة هي التي خلقت حقائق العدوان طيلة ثلاثين عاماً، وهي التي رفضت التعامل مع الحد الأدنى من شروط السلم العربي: الانسحاب والدولة الفلسطينية، إن وضوح لغة ليكود ستكون انعكاساً واقعياً لوضوح الأمر الواقعي الذي بناه السلاح الإسرائيلي بغباوة العمل على الأرض العربية وسيقال كلام كثير، واقعي وخيالي عن دور الولايات المتحدة في صياغة الانقلاب الإسرائيلي الداخلي وسيكون الانسياق وراء تفاصيل مثل هذه الأسئلة ضياعاً للوقت؛ لأن المسألة الأكثر وضوحاً وجوهرية هي أن التلاحم الأميركي الإسرائيلي هو الذي يحدد حجم إسرائيل في تحولاتها التدريجية من " دولة عادية " إلى " دولة كبرى " ومن حارسة للنفط إلى مانعة صواعق في الشرق الأوسط))[2].

فالآفاق أمام أمريكا أصبحت مفتوحة, آفاق كسب الوقت, والنقط في آن واحد، إذ كشفت حرب تشرين (1973) عن مدى ما قدمت أمريكا من مساعدات للعدو الصهيوني, من تزويده بأحدث الأسلحة، بعد الهدنة ووقف الحرب وانعقاد مؤتمر جنيف[3]. وهذا ما صعدت الرأي أمامه مقالة (إلى أين؟): " بعدما قيل لواشنطن ما قيل وبعدما قال الرئيس الأمريكي المؤمن ما قال انتهت مرحلة من مراحل الانتظار العربي التقليدي، فإلى أين؟ إن كل شيء يحتاج إلى إعادة نظر وإلى انقلاب في الرؤية، وإلى مبادرة عربية حاسمة تجعل الموقف العربي موضوع انتظار الآخرين "[4]. إذن العرب بحاجة إلى أن يصحوا وأن يتكاتفوا لكي يقفوا ضد الإخطبوط الأمريكي صانع الصهيونية إذ " إن ريحاً ربما قد توقفت فجأة، وكأن ضربة من السراب قد أعادت الصحوة إلى السائرين في العراء، ومن دون مقدمات ضرورية، وينقلب انتظار السلام البطيء والحتمي في مواجهة حرب سريعة وحتمية ابرز ما في دلائلها من مفارقات هو أن اليد التي تلوح بها هب اليد الإسرائيلية"[5].

---

(1) ينظر: الصحافة والأدب، حسين جاسم محمد، رسالة ماجستير: 63.
(2) مجلة شؤون فلسطينية، العدد (67) لسنة 1977: 5.
(3) إستراتيجية التسوية، محمود سويد، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (67) لسنة 1977: 5.
(4) مجلة شؤون فلسطينية، العددان (68- 69) لسنة 1977: 4.
(5) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 35 - 36.

أما مقالة (العرب قادمون) ففيها إعلان بأن الرد العربي قادم وأن اليد العربية ستضع الخطوط الحاسمة على خارطة العدوان، فيوجه محمود درويش هذه المقالة إلى العالم ولاسيما أمريكا اللعينة فيقول:

((**انتظرنا أيها العالم، انتظرنا قليلاً، فإننا قادمون إليك، مشغولون، الآن، ببناء الأيدي، التي تصل إليك، منكبون الآن، على تربية الأقدام التي تحملنا إليك، غارقون، الآن، في عملية تركيب الجسور التي يعبر عليها صوتنا إليك. انتظرنا أيها العالم، انتظرنا قليلاً، فنحن الآن نتعلم المشي على الأرض، مرة أخرى، نتعلم المشي، فلا تلعب كثيراً بالكرة الأرضية التي تهتز، وتلعب كثيراً، فعما قليل يصير بوسعنا أن نعيدها إلى التوازن، إذا شئت وعما قليل يصير بوسعنا أن ندفعها إلى الانفجار إذا شئت... انتظرنا أيها العالم، انتظرنا قليلاً، فان الولادة العسيرة، تملأ المدن ونحن قادمون إليك**))[1].

فالخطاب السياسي في مقالة (عالم لنا) بدأ يختلط بالصيحة والغضب والتحذير أمام من يقف ضدنا ((**إن الولايات المتحدة الأمريكية تعطي الدليل على أن قضية العدوان واحدة، وأن قربى الدم بين الغزاة لا تنفصم، كان بوسع الولايات المتحدة أن تجعل الشعوب أقل عذباً، ولكنها تفعل كل شيء، حتى التضحية بالأمريكيين، من أجل أن تصير الحرية أصغر... هذا العالم ضدنا**))[2]. وفي ضوء هذا النص تتولد قناعة جوهرية لدى محمود درويش إن العالم عالمان، عالم لنا، وعالم ضدنا! " وها هو العالم يعلن هويته: أصدقاء الحرية أصدقاؤنا، وأصدقاء العنصرية أصدقاء أعدائنا، ولعل الصراع العربي ـــ الصهيوني كان محكماً لاختبار المعادن في الغرب"[3] وعندما تكون الحرب سيظهر التحدي الجوهري لجدارة أحد الطرفين... العالم الذي لنا، أو العالم الذي ضدنا. والمقالات التي وجهها محمود درويش إلى العدو الأمريكي كثيرة[4].

2- المقالة النقدية:

ولما كان عالم محمود درويش له وجهان: عالم لنا، وعالم ضدنا، لذلك اتجهت مقالاته نحو " نقد فكرة معينة أو موضوع معين أو اتجاها خاصاً في السياسة

---

(1)وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 35- 36.
(2)المصدر نفسه: 62.
(3)وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 64.
(4) ينظر: مقالة (حوار بين مسافرين لقتل السأم المشترك): 137. ومقالة (وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام): 89. ضمن مجموعة (وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام).

والاجتماع والأدب"[1] ليطرح من خلالها كل " ما يهم الكاتب الحقيقي اليوم أن يكتب في مستوى الأسئلة التي ما زالت قائمة في زمنه، أي انه يحاول الاقتراب من قضايا تشكل جوهر الصراع في عصرنا"[2] وهي مقالات تحمل روح الرصاصة في التأثير والفعل، فهي متيقظة صادقة في نقدها لكل الظواهر والموضوعات التي تثار في واقع محمود درويش، وهي مقالات نقدية فيها دعوة صريحة إلى رفض قيم المحتلين، وهي دعوة لكل الأدباء العرب ليأخذوا دورهم في ردع العدوان وتوجيه أقلامهم إلى القيم العربية القديمة التي هي في أغلب الأحيان رمزاً للعروبة والنضال والشجاعة والبطولة.. إذن هي دعوة للثورة على كل زائف، وخائن ومتهاون، ومحتل، ومعتد.

أ- نقد الأدب العربي الفلسطيني

لقد عبرت مقالة (أنقذونا من هذا الحب القاسي) عن وجهة نظر محمود درويش النقدية للحركة الأدبية في الأرض العربية الواسعة، فيها دعوة للإبداع وتحميلهم المسؤولية والاجتهاد الدائم لتحقيق القيم ((**لقد كان من حق حركتنا الأدبية، بما تمثله من صراع ناسها مع واقعهم الخشن، أن تفرح وتعتز بالمكانة الطيبة التي احتلتها في مسيرة الأدب العربي العامة،... ولكننا لن نمل تكرار القول أن طرف الخيط في هذه المسألة هو الاندماج أو الالتحام التام بين الكاتب وواقعه... فعندما كان قسم كبير من إخواننا الكتَّاب خلف حدود بلادنا يعطفون على القضية الفلسطينية ويتضامنون مع ضحاياهم كان القسم الأكبر من كتابنا يعيشها ويذوب فيها، وحين حلَّت نكبة حزيران وشاعت عدوى الإحساس بالمأساة، ثم سقط طرفا حبل كان يلوح على مساحة معينة من الفكر العربي هما: الطبل.. والتمارض العصري، ثم اقتحمت ضرورة مواجهة الحقيقة بشجاعة كل مواطن، وصارت المجابهة والصراع قدراً، وانهارت قيم سياسية وأخلاقية كثيرة.. عندما ارتدى الاهتمام بما يكتب لدينا من شعر وقصة طابعاً جديداً يمتاز بأكثر من حب، أضفى على الكثيرين من النقاد والكتاب ميزات العاشق القديم الذي لا يرى في الحبيبة إلا ما يبرر العبادة**))[3].

بهذه الروحية النقدية يطرح محمود درويش قضية الأدب الملتزم طالما هي حرباً موجهة للأعداء، والدعوة إلى توليد وتواصل يومي مع الصراع التاريخي الذي تحتم على الأرض العربية، ومن ثم الدعوة إلى الصدق في وكل ما يكتب لأن " الصدق ـــ كما نعرف ـــ ينتمي إلى مجموعة الصفات الخلقية الحميدة، ولكنه وإن كان شرطاً من شروط الأدب الإنساني، ليس ضماناً لنجاح العملية الفنية، ولا يمكن أن

---

(1) المقال وتطوره في الأدب العربي: 97.
(2) أضواء عن أدب المستقبل، ندوة ألف باء، العدد (29) لسنة، 1973: 44.
(3) شيء عن الوطن: 25- 27.

يكون، وحده، ومعياراً للنقد الأدبي، وإذا كان من الجائز تسجيل ملاحظة هامشية في مجرى حديثنا عن ميزة الصدق في حركتنا الشعرية، فإننا لا نظلم أحداً إذ لاحظنا أن المبالغة في تقدير شعرنا قد أدت إلى أن يقدم شعرائنا الناشئين بعملية تصميم قصائدهم وفقاً لمقاييس غريبة عن الصدق. وكأنهم يستوحون قصائدهم من تصورهم لكيفية استقبال تلك الإذاعة لها!. وملخص القول انه آن الأوان، لأن توضع حركتنا الشعرية في مكانها الصحيح، بصفتها جزءاً صغيراً من حركة الشعر العربي المعاصر عامة، وذلك يستدعي تخلص الناقد العربي من الخضوع التام لدوافع العطف السياسي وحدها، على أصحاب هذه الحركة، فلا يكفي هذا الشعر انه يكتب في إسرائيل، إن وضع الحركة في مكانها الصحيح هو خير طريقة لنموها وتطورها لارتياد آفاق أوسع خاصة إذا تذكرنا دائماً أنها ما زالت في المراحل الأولى من الطريق الطويل "[1].

وقد دعا محمود درويش الأدب الصهيوني أن يعيد النظر في نظرته العدائية للإنسان العربي وأدبه، كما في مقالة (من المنولوج... إلى الديالوج) التي تشير إلى اللقاء بين الأدباء العرب واليهود التقدميين في حيفا، لتجيب عن السؤال السابق: " هل كان لقاء الأدباء اليهود والعرب في حيفا.. لقاء تفاهم؟.

إن مزاج تلك الساعات الحارة التي قضيناها في المناقشات والمزاج الذي خلقته وجبة الغداء المشتركة فيما بعد، هو الذي يجعلنا نصدق الاسم الذي أطلق على الاجتماع (لقاء تفاهم) ولكننا حين نلاحظ الآن ردود الفعل التي أثارها الاجتماع وانطباعات الأدباء اليهود عنه، والمناقشات الدائرة في الأوساط الأدبية والصحفية، نكشف أن الاجتماع لم يكن (لقاء تفاهم) نكشف انه من السابق لأوانه، على ما يبدو الحديث عن لقاءات التفاهم بين الأدباء اليهود المؤمنين بعدالة الصهيونية وبين الأدباء العرب المؤمنين بأخطار الصهيونية، لا أسجل هنا خيبة أمل أو ندماً ولكني أسجل تحول الانطباع والاعتراف بأن الاحترام على الحوار لا ينبغي أن يجعلنا نحلم بالاتفاق السريع. ومن ناحية أخرى أسجل ارتياحنا الشديد من مجرد الحوار الذي بوسعه أن يزيل لهجة العداء والانطباع السلبي السابق عن العلاقات بين الأديب اليهودي والأديب العربي، وقبل كل شيء بفتح ثغرة في حائط الجهل التام بقضية الأديب العربي في هذه البلاد"[2].

وبهذه الروحية النقدية التحليلية يقرب محمود درويش قضيته الفلسطينية وأهمية الحوار بين الطرفين كما في مقالته (لماذا يجب أن نلتقي) لطرح ما يعمل في نفسيهما من أسئلة ووجهات نظر على الطرفين أن يطلع عليها لكي لا يكون اللقاء

---

(1) شيء عن الوطن: 34- 35.
(2) شيء عن الوطن: 63.

شبيها ببيضة الديك[1].

وتحمل مقالة (بطاقة إلى وزير الدفاع) النقد السياسي الساخر لحكومة العدو اللعينة وهي تتخذ من سياسة الإرهاب والعنف والحصار والسجن دعامة لتثبيت وجودها في أرضنا المحتلة، إذ يقول:((**شاءت الصدفة السيئة يا معالي الوزير أن يصادف العيد الذكرى الخامسة لمصرع الشباب العرب الخمسة الذي سيبقى ندبة أبدية في جسم شعبنا، ووصمة باقية في جسم النظام القائم ما دام باقياً. ولن ينسى احد أن هؤلاء الشباب هم ضحية السياسة التي تنتهجها حكومتهم، ونحن نعرف أن السياسة الرسمية ترمي إلى اقتلاع جذور هذا الجيل من هذه الأرض**))[2].

وينتقد محمود درويش الأدب العربي بشدة بعد هزيمة حزيران، فقد حدثت فيه هزيمة كبرى وانكسار كبير تداعت فيه قيم الإبداع وضرورة الاستمرار والمواصلة على الرغم من الهزيمة العسكرية، فيقول في مقالته (الشهداء يطلبون دمهم إذا ضاع في النفط):

((**نعم. فجأة عثر كثيرون من الكتاب على أنفسهم خارج الليل، لقد راهنوا على رصاصة، حين انطلقت فاجأتهم بأنها شكّلت مفترق طرق محيراً، نكتب أم لا نكتب؟ ثم نكتب؟ وماذا نكتب؟ أسئلة تنطوي على ما هو أخطر من بؤس الأدب. كانت القصائد تعاتب القذائف التي تأخرت، وكان الركود تربة خصبة لتسابق شعراء على إهانة الأمة، وحين اندلعت النار أصابت الهزيمة هذه النفسية، وحين خمدت النار ثانية عادت تلك النفسية ذاتها إلى البرهنة على صحة تدهورها، كم من شاعر راهن على عقم روح الأمة، كم من شاعر! وكم من شاعر راهن على اشتباك عسكري.. كم من شاعر! وسنهدر كثيراً من الحبر والورق سدى ونحن نضع الحواجز الفولاذية، بين مرحلة ومرحلة، لانطلاق البارود شعراء، ولسكوت النار شعراء لحزيران شعر، ولتشرين شعر، لماذا يموت أدب بكامله بعد معركة عسكرية واحدة؟ لأنه ليس أدبا، لأنه مخاطبة غرائز إلا التحام بحركة تاريخ وروح أمة وعلاقة بمستقبل، كيف نشهد الآن شبه إجماع على أن أدب ما بعد الهزيمة حزيران قد سقط؟ ألانه تهويمات مزاج... إنه أدب تعليقات على الأخبار، انه ينسخ ولا يخلق، يصور ولا يبدع، يطفو ولا يرسخ، يقوم على ظرف جغرافي لا ظرف تاريخي، يأتي من الذكريات لا من المستقبل، إنه تعبير... تعبير فقط عن ردود فعل آليه، بالتقاطه اللحظة الشعرية يتعامل مع التناقض الحقيقي بسطحية سهلة، ولا يحاول إعادة ترميم الحلم العظيم، يستبدل الحلم بالكابوس، لم يعد للأدب وظيفة، ولكنه صار الوظيفة التي تعجز**

---

(1) ينظر: المصدر نفسه: 53.

(2) شيء عن الوطن: 143.

بتعاملها مع الحدث، عن خلق قيمة إنسانية قادرة على البقاء، انه كتابة شيئية))[1]

لهزيمة حزيران الوقع الكبير في نفسية الأدباء والشعب العربي، ولاسيما في نفسية محمود درويش ذاته إذ يقول في مقالة (حزيران: الدماء والدروس) " من الواضح، أن أحد لا يحاول التخفيف من قبضة الذهول، وتفتّح الجراح الجديدة، والجراح القديمة التي تحفر مرتين أو ثلاث مرات، وأنا شخصياً وأنا قابع في السجن، تعطلت أعصابي، وبعد خروجي لم أجرؤ على القيام بمحاولة الكتابة، لأن التشنج والرؤية الغارقة في الدم والحروق لم تتح لي بلورة المدخل الذي سأنفذ منه إلى مثل هذا الموضوع المهلك... ويبدو أن سخونة الوجدان الزائدة عن الحد المعقول تفسد العملية الإبداعية بقدر ما تفسدها برودة العقل الزائدة عن الحد المعقول"[2] وهذا النقد لمحمود درويش هو نقد ساخر وجارح وجاد[3].

ب- نقد الأدب الصهيوني

ويسير محمود درويش على النهج نفسه إذ يصوب سهام النقد إلى الأدب الإسرائيلي ليكشف عن طبيعة هذا الأدب الذي لا يحيد عن نزعته العنصرية والإرهابية فيقول: " أريد القول أن ندائي لم يغير مواقف ولم يخلق مواقف، ربما كان حافزاً لبلورة مواقف وأنا لم أكن ساذجا إلى الحد الذي يصور لي أن يوسع مقالي أن يغير شيئاً ولكنني أردت التعبير عن هواجس وإعلان موقفي "[4] وهذا هو ما تقوم عليه المقالة النقدية، وهي من تطرح رأي وتعلن عن موقف الأديب إزاء القضايا الأدبية.

ومحمود درويش في نقد للأدب الصهيوني يضعه أمام حقيقة جوهرية لا تعنيه وحده؛ وإنما هي تعني كل الأقلام التي تكتب وهي أن " الحرب هناك لا تكتب بالحبر والمزاج، إنها لغة الموت الحقيقية. وهي ليست قصفاً إذاعياً يعقبه نشيد الختام السلبي" [5]. إذن القاسم المشترك بين العرب واليهود لا شيء سوى أنهم بانتظار الموت، والفاصل بين الأدب العربي الفلسطيني والأدب الصهيوني ليس فاصلاً أدبياً ناجماً عن تقدير ملامح مختلفة في أدب كل الجانبين بالطبع، ولكنه فاصل سياسي جوهري ومبدئي للقضاء على الانتماء القومي للعرب في إسرائيل.

ومما يترتب على ذلك ومن أجل أن يزال الحصار الذي وضعته الحكومة

---

(1) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 125- 126.
(2) شيء عن الوطن: 269- 270.
(3) النقد الأدبي: 16. وينظر: في الأدب وفنونه: 17. مقدمة في النقد الأدبي: 296.
(4) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 24.
(5) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 44.

الإسرائيلية والأدب الصهيوني على الأدب العربي في فلسطين يفتح الأديب نافذة أمامهم كما يقول في مقالة (الحصار): ((**ولقد آن للأدباء اليهود التقدميين أن يفتحوا ثغرة في هذا الحصار، وأن يمسحوا عن وجه حركتنا الأدبية هذه البقع المهينة من الزيف والتشويه، وليرفع الصحفيون الساخرون أيديهم عن قصائدنا، فإنها صرخات شعب أسير.. وحتى ذلك الحين، يبقى السؤال الاتهام معلقاً: ماذا يعرف القارئ العبري عن حركة الأدب العربي هنا؟**))[1].

إن رفض العدوان والإرهاب هو صوت المشترك بينهما كما يقول في مقالة (ولماذا يجب أن نلتقي):((**فالدم العربي والدم اليهودي يُسفكان، والجندي اليهودي يخاطب الجندي العربي بالسلاح. والجندي العربي يرد عليه باللغة ذاتها... إن قوة الكلمة تُمتحن في الأيام العاصفة، ونحن نعيش في بحر من العداء والدماء... فإننا مدعوون إلى عدم الاستسلام لليأس وخيبة الأمل من الجو السائد**))[2].

وعلى الرغم من أن الصدام الدامي مستمر فإن الحديث عن الأدباء والأدب العربي الفلسطيني لا بد أن يزيفه الإعلام الصهيوني وبعض المسؤولين في الكيان الصهيوني، فعلى سبيل المثال فإن مقالة (الحصار) تكشف عن زيف الادعاءات التي تحاول أن تشوه الحقيقة الصادقة للأدب والأدباء الفلسطينيين الذين يقاومون الأعداء كما تقاومهم البنادق، فهذا (موشيه ديان) وهو مصدر مقبول على أوساط واسعة من الرأي العام الصهيوني يقول " لقد أحزنني رد الجمهور اليهودي على لقائي بالشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، قرأت هذا النقد: كيف تقرر أنت يا موشيه ديان، يا وزير الدفاع، الجلوس مع فدوى طوقان، ثم تقترح علينا دعوتها إلى (هيكل الثقافي) في تل أبيب لكي نستمع إلى أشعارها؟ "[3]. ويرد ديان على هذا الانتقاد بالاعتراف الآتي "

---

(1) شيء عن الوطن: 51- 52.
(2)شيء عن الوطن: 54- 55.
(3)المصدر نفسه: 44.

ليست أنا الذي جعل فدوى طوقان شاعرة، ولست أنا الذي استكتبها قصائدها القومية، ولكن بسبب وجود جمهور فلسطيني له شعراؤه، فإني اقترح على الجمهور الإسرائيلي الإصغاء إلى الشعراء الذين يحبهم الجمهور العربي لكي نفهمهم "[1]. فهم يريدون أن يعرفوا لماذا يحب العرب تلك الأشعار، لكي يكونوا على استعداد لمواجهة العرب حتى في مجال الشعر والثقافة والأدب.

ومن زيف ما يقدمه الأدب الصهيوني إلى القارئ العبري، إذ يصف العربي بأنه يعيش بحالة جيدة وفي جنان الخلد، وأن الحديث عن الاحتلال والعنف والإرهاب والإبادة ليس إلا ضرباً من ضروب الدعاية العربية، فيقول درويش في المقالة السابقة نفسها ((**إن جوهر الأدب العربي في إسرائيل هو الرفض والإدانة، وتقديم هذا الأدب إلى القارئ العبري يضع أمامه صورة مغايرة لما ألفه، فقد ألف القول أن العرب في إسرائيل يعيشون فيما يشبه جنان الخلد، وأن الحديث عن اضطهاد وتمييز يتعرضون له ليس إلا ضرباً من ضروب الدعاية العربية المعادية. ولا يريد هؤلاء الخبراء في الاستشراق أيضا أن يعلنوا الرابطة العميقة بين حركة الأدب العربي هنا وبين حركة الأدب العربي المعاصر، لأن هذا الإعلان يؤكد الانتماء القومي للعرب في إسرائيل**))[2].

ويوجه الكاتب محمود درويش دعوة إلى إجراء حوار ولقاء مع الأدباء اليهود لكي

---

(1) المصدر نفسه: 44.
(2) شيء عن الوطن: 47- 48.

يكشف سوء الإعلام الصهيوني، ولكي يتبادلوا خلال ما سيجري في هذا اللقاء من وجهات نظر تبدد كل الغيوم السوداء عن حقيقة الحق الفلسطيني في أرضه، ولصد الدمار الشامل الذي يشنه الكيان الصهيوني على العرب في فلسطين ويستمر درويش في حديثه فيقول:

((**إني لا أطالب هنا بمجرد التعارف واللقاء وإجراء حوار نستمع فيه إلى بعضنا البعض، إن صرخة كاذبة أو صادقة يطلقها أديب مغمور أو معروف في أقصى الأرض تثير ضمائر هؤلاء الأدباء وحساسيتهم المفرطة دفاعاً عن حرية الكلمة، أما أن يوضع شعب كامل في حصار، وان تطمس صرخات أدبائه فتلك مسألة أخرى، وإذا حظيت حركتنا الأدبية بلفتة صحفية عابرة، فان التزييف الرخيص يطغى على هذه اللفتة: يصورون أدباءنا التقدميين بأنهم مجموعة من حملة الشعارات المعادية لليهود، أما الأدب العربي " الحقيقي" في إسرائيل فهو " الأدب الإيجابي"... فهو ذلك الأدب الذي لا ينسى البكاء أمام شباك الحبيبة، وعلى ضوء القمر النعسان**))[1].

يتوصل محمود درويش إلى نتيجة نهائية لموقف الأدباء الصهاينة فيقول في مقالته (من المنولوج إلى الديالوج) " **نحن الكتاب العرب أبناء شعب يعيش في الخيام والمنافي، ونرى إن دائرة سفك الدم المفرغة في منطقتنا ومتطلبات أحلام السلام على المنطقة وعلى أرض الزيتون والدم، نستدعي الاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني. وهنا تختلف التصورات والتقديرات وتنطلق المقاطعات من القاعة ومن**

(1) المصدر نفسه: 50- 51.

منصة رئاسة الاجتماع. ونكتشف أن اتفاقنا على قضايا جزئية لا يطول، ما دمنا غير قادرين على تلافي بحث القضايا الجوهرية... ومن أهم النتائج التي حققها الاجتماع، من ناحيتنا هو إننا استطعنا أن نكسر جداراً خطيراً من سوء الفهم العدائي والشكوك، وأن تطلع وجوهنا - كما هي وبدون تشويه – حزينة.. ولكنها غير حاقدة، إنسانية.. ولكنها غير مستسلمة، مضطهدة.. ولكنها ليست ذليلة. وجاءتنا وجوه مجموعة غير قليلة من الأدباء اليهود: قلقة، مضطربة، وتتطلع إلى أفق أجمل))[1].

ولعل ما يسمى بـ (شهر التنوير) الذي أقامته دائرة الإرشاد والتنوير الرسمية في دولة اليهود، التي خصصت ثلاثمائة محاضرة لهذا الغرض ويقودهم: نائب رئيس الحكومة ووزير المعارف والثقافة ووزير الشرطة فيقول محمود درويش ذلك في مقالته (ثلاث كلمات على إيقاع واحد): ((**ومن المكتسب التي أحرزتها مبادرة منظمة الكتاب هو أنها استطاعت أن تصدر لنا تصاريح سفر إلى تل أبيب، وكان ذلك فرصة لتندر أحد الكتاب الساخرين فكتب ان الحكم العسكري قد الغي ليوم واحد**))[2].

وفي المجلة التي يكتب بها محمود درويش، أجرى فيها استفتاء للأدباء الصهيونيين حول موضوع (لو كنت أديباً عربياً) وكان الغرض منه التوصل إلى دقائق التفكير اليهودي ووجهة نظره حول العرب والأدب العربي فيقول في مقالته ((**ونحن نجري هذا الاستفتاء بالإضافة إلى رصد الحياة الفكرية الإسرائيلية، لكي**

(1) شيء عن الوطن: 66- 75.
(2) المصدر نفسه: 81.

نضع أمام القارئ العربي صورة متواضعة عن أسلوب واتجاه التفكير الإسرائيلي فيما يتعلق بالعرب، ونعترف بأن الردود المنشورة في هذا العدد والتي لا نوافق عليها أبداً لم تصبنا بأية خيبة أمل كما يتصور أصحابها فنحن لم نقصد ابتزاز موقف إنساني، لقد أردنا الحصول على الصورة كما هي بدون رتوش وألوان زاهية، وسيلاحظ القارئ أن بعض الكتاب الصهيونيين لم يتمكن من الوقوف الافتراضي في المكان الذي يقف فيه العربي))[1].

وبهذا النقد الموضوعي الصادق يوصل محمود درويش إلى القارئ حقيقة الأدب الصهيوني.

(1) المصدر نفسه: 87- 88.